كلية الاداب
قسم التاريخ
محاضرات مادة (تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي و الاموي)
م.م. وداد محمد عبد الله
المرحلة الثانية (الصباحية و المسائية)
2025 – 2026
المحاضرة (11)

فتح دمشق

بعد عودتهم من الأُردُن، استأنف المسلمون حصار دمشق، فاستولوا على الغوطة وأماكنها، بينما تحصن أهل المدينة وأغلقوا أبوابها، معتمدين على أمل وصول نجدة من الشمال تُنقذهم وتُفك الحصار. وقد وزع القادة المهام كما يلي: نزل أبو عُبيدة على باب الجابية، وخالد بن الوليد على الباب الشرقي، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان، وعمرو بن العاص على باب الفراديس، وشُرحبيل بن حسنة على باب توما.

لضمان فعالية الحصار، قام أبو عُبيدة بعزل المدينة عن محيطها وقطع اتصالاتها الخارجية، فأرسل ثلاث فرق عسكرية تمركزت: الأولى على سفح جبل قاسيون قرب قرية برزة شمال المدينة، والثانية على طريق حِمص لمنع وصول الإمدادات من الشمال، والثالثة على طريق دمشق-فلسطين لقطع طريق الجنوب. طال أمد الحصار، الذي استمر حوالي سبعين ليلة، وقيل أربعة إلى ستة أشهر، وازداد التوتر داخل المدينة خصوصًا بعد انسحاب الحامية البيزنطية من مواقعها، تاركة الدمشقيين يتدبرون أمرهم بأنفسهم، فهنت عزيمتهم ومالوا إلى الاستسلام.

تختلف المصادر في وصف الأيام الأخيرة قبل دخول المسلمين إلى دمشق وكيفية ذلك. فقد ذكر البلاذري أن أبا عُبيدة دخل المدينة عنوة من باب الجابية، بينما تدخل خالد بن الوليد للقاء الأُسقف منصور بن سرجون عند الباب الشرقي، فاتفقا على فتح المدينة وتطبيق كتاب الصلح، رغم اعتراض بعض المسلمين على صلاحية خالد في توقيع الصلح كونه ليس أمير الجيش، فأجاز أبو عُبيدة ذلك

أما الطبري، فيروي أن خالدًا اقتحم المدينة فاستيقظ السكان مذعورين، فتحوا أبوابهم لبقية الفرق الإسلامية وطلبوا الصلح من أبي عُبيدة، الذي قبله. وهكذا دخل كل قائد المدينة من بابه صلحًا، ما عدا خالد الذي دخل عنوة. ونتيجة لذلك، كان فتح دمشق مقسومًا: نصف المدينة استولى المسلمون عليه بالقوة، والنصف الآخر تم صلحًا مع فرض الجزية

كما أخذ المسلمون سبع كنائس من أصل أربع عشرة، وشاركوا في الكاتدرائية الكبرى، وهي كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان، نصفها أصبح مسجدًا جامعًا، والنصف الآخر ظل للمسيحيين للعبادة، وفقًا لابن كثير

نتائج فتح دمشق:

1. **السيطرة على مركز حضاري واستراتيجي: فتح دمشق منح المسلمين السيطرة على واحدة من أهم المدن في بلاد الشام، لما تتمتع به من موقع جغرافي مركزي يربط بين فلسطين، ولبنان، والعراق، وطرق التجارة الرئيسية، ما جعلها قاعدة أساسية للتوسع والفتوحات اللاحقة.**
2. **تعزيز النفوذ العسكري والسياسي: بسطت الفتوحات الإسلامية سيطرتها على نواحي دمشق، وفرضت النظام والجزية على سكانها، ما قلل من قدرة البيزنطيين على إرسال الدعم أو تنظيم مقاومة فعالة في المنطقة.**

3. **فتح الطريق نحو بقية بلاد الشام: السيطرة على دمشق كانت خطوة محورية لتأمين الجنوب والشمال من الشام، ووفرت قاعدة للانطلاق نحو حلب، حمص، حماة، وريف دمشق، مما سهل استكمال الفتوحات بشكل متسلسل.**
4. **إضعاف الروح المعنوية للبيزنطيين: هزيمة البيزنطيين في محيط دمشق وانهيار مقاومتهم المركزية أعطت المسلمين الأفضلية الاستراتيجية، وجعلت المدن الأخرى أكثر استعدادًا لقبول الحكم الإسلامي أو التفاوض على الصلح بدلاً من المقاومة المسلحة.**
5. **الاستفادة من مركزية المدينة ثقافيًا ودينيًا: كمدينة ذات أهمية دينية وكنائس مشهورة، فقد أتاح فتح دمشق للمسلمين تنظيم الشؤون الإدارية والمالية، وفرض الجزية مع الحفاظ على دور العبادة، ما ساعد على تقليل مقاومة السكان ودمجهم ضمن النظام الإسلامي.**

فتح بعلبك

بعد أن استقر المسلمون في دمشق، توجهت أنظارهم إلى مدينة بعلبك الواقعة في سهل البقاع، والتي شكّلت عقدة مهمة على الطريق التجاري والعسكري الواصل بين دمشق وحمص سار أبو عبيدة وخالد بن الوليد ومعهما الجموع الإسلامية، فلما اقتربوا من بعلبك خرجت إليهم قوة عسكرية تصدت لهم، لكن المسلمين تمكنوا من التغلب عليها وأجبروها على الانسحاب والاحتماء داخل الحصن عندها فُرض الحصار على المدينة، ولم يطل الأمر حتى أدرك أهلها استحالة الصمود، فبادروا إلى طلب الأمان. استجاب أبو عبيدة وأمّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وكتب لهم كتابًا بذلك، ومنحهم حرية الاختيار بين البقاء على دينهم مقابل الجزية أو المغادرة إلى حيث شاؤوا

وعندما دخل المسلمون المدينة وجدوا فيها تنوعًا كبيرًا من الأعراق، إذ اجتمع فيها الروم باعتبارهم رعايا الدولة البيزنطية، وبقايا الفرس الذين استقروا في المنطقة بعد حروبهم الطويلة مع الروم، إضافةً إلى العرب والسريان والنبط من السكان الأصليين ،هذا التنوع جعل بعلبك مثالًا مصغرًا للشام الكبرى، حيث تتقاطع فيها الحضارات والمذاهب

لقد كان إخضاع بعلبك خطوة استراتيجية حاسمة، إذ لم تكن المدينة هدفًا بحد ذاتها فقط، بل كانت مفتاح الطريق إلى حمص فالموقع الجغرافي ربط دمشق بحمص عبر طريقين: أحدهما شرقي يمر بالصحراء عبر دوما والنبك وقارا، والآخر غربي يمر عبر سهل البقاع مرورًا ببعلبك وجوسية وصولًا إلى حمص وبالسيطرة على بعلبك، أمّن المسلمون هذا الطريق الحيوي الأكثر استعمالًا في التجارة والحركة العسكرية، مما جعل فتح حمص أمرًا ممهّدًا لا محالة، خاصة بعد أن انسحب هرقل منها إلى أنطاكية وأصبحت المدينة مكشوفة أمام التقدم الإسلامي.

فتح حِمص

تُعدّ مدينة حِمص في مطلع القرن السابع الميلادي إحدى القواعد البيزنطية الكبرى في بلاد الشام، إذ كانت مركزًا إداريًا مهمًا وقاعدة عسكرية يعتمد عليها الإمبراطور هرقل لإدارة العمليات وإرسال الجيوش نحو الجنوب لمواجهة المسلمين. ومن هنا كانت حِمص محطة حاسمة في طريق الفتوحات الإسلامية بعد فتح بعلبك، فلا يمكن للمسلمين التقدم شمالًا نحو أنطاكية دون إخضاعها.

أسباب الفتح

- **برزت عدة عوامل جعلت حِمص هدفًا للمسلمين:**
- **أهميتها الاستراتيجية كونها قاعدة رئيسية للروم في وسط الشام، ومنطلقًا لإمداداتهم العسكرية.**

- **رغبة المسلمين في تأمين خط تقدمهم بعد فتح دمشق وبعلبك، وعدم ترك أي قاعدة خلفية للروم قد تهددهم.**
- **استعدادات بيزنطية متوقعة حيث كان هرقل قد وعد حامية المدينة بالدعم، مما جعل المسلمين يتعجلون السيطرة قبل وصول المدد.**

مجريات الفتح

تحرك أبو عبيدة بن الجراح بعد فتح بعلبك نحو حِمص. وعلى مقربة منها في منطقة جوسية، اصطدم بجيش بيزنطي حاول إيقافه، فأرسل خالد بن الوليد لمواجهته، فدارت معركة انتهت بانتصار المسلمين ودخول فلول الجيش إلى المدينة.

عندئذٍ أغلقت حِمص أبوابها، واعتمد أهلها على وعود هرقل بإرسال المساعدة، إلا أن الظروف لم تمكنه من ذلك. ومع طول الحصار انقسم أهلها إلى فريقين: فريق مال إلى الصلح إدراكًا لقوة المسلمين، وفريق أصر على المقاومة على أمل أن تجبر الظروف المناخية القاسية المسلمين على التراجع.

وفي أثناء الحصار ضرب المدينة زلزال شديد أضرّ بمبانيها وأرهق أهلها، بينما واصل المسلمون صمودهم حتى اضطرت الحامية والسكان إلى طلب الصلح.

النتائج

1. **حصل أهل حِمص على عهد أمان ضمن لهم الحفاظ على حياتهم وأموالهم ودورهم وكنائسهم مقابل دفع الجزية.**
2. **لم يدخل المسلمون المدينة مباشرة، بل نصبوا معسكرهم على ضفاف نهر العاصي، إظهارًا لحسن النية وطمأنةً للأهالي.**
3. **تحولت حِمص من قاعدة بيزنطية مركزية إلى قاعدة إسلامية متقدمة، مما فتح الطريق أمام المسلمين نحو الشمال والشمال الغربي.**
4. **عزز الفتح مكانة المسلمين السياسية والعسكرية في بلاد الشام، إذ أظهر قدرتهم على مواجهة الطبيعة القاسية والانتصار رغم وعود هرقل الكاذبة لحاميته.**

فُتوح الشَّام الوُسطى

الشام الوسطى وتعريفها

الشام الوسطى تشير إلى المنطقة الواقعة بين دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان، وتمتد نحو الشمال حتى أفامية، وهي المنطقة الواقعة بين الشام الجنوبية والشام الشمالية. وسُميت "الشام الوسطى" لكونها حلقة الوصل بين الشام الجنوبية، حيث تقع دمشق وفلسطين، والشام الشمالية التي تشمل حلب وأنطاكية. هذه المنطقة تتميز بأهمية استراتيجية كبيرة، إذ تتحكم في الطرق التجارية والعسكرية التي تصل بين الجنوب والشمال، وكذلك في خطوط الاتصال بين المدن الكبرى والريف المحيط بها.

أهمية فتح الشام الوسطى

فتح الشام الوسطى كان حاسمًا لتحقيق الاستقرار والسيطرة على بلاد الشام بعد دمشق وحِمص. أهميتها تتمثل في:

التحكم بالطريق بين الشمال والجنوب، ما يسهل تحريك القوات والإمدادات.

تأمين المدن الكبرى مثل حماة ومعرة النعمان وأفامية، وهو ما يقطع الطريق أمام أي محاولات بيزنطية للزحف نحو دمشق أو حِمص.
تمهيد الطريق لفتح الشام الشمالية، بما فيها حلب وأنطاكية، مع وجود قوة مسيطرة على وسط البلاد يمكنها دعم أي حملة عسكرية.
مجريات الفتح
بعد أن استقر الوضع في دمشق وحِمص، انطلق أبو عُبيدة من حِمص مصطحبًا خالد بن الوليد، واستكمل فتح مدن الشام الوسطى:
وصل إلى حماة، فوافق أهلها على الجزية والخراج على أراضيهم.
تقدّم نحو شيزر، فسلّم أهلها على نفس شروط حماة.
تابع إلى معرّة النعمان وفتحها بالصلح.
ثم توجه إلى أفامية، وأذعن سكانها للجزية والخراج أيضًا.
خلال هذه الحملة، استخلف أبو عُبيدة عبادة بن الصامت على حِمص لضمان السيطرة الإدارية، وأرسل خالدًا لاحقًا لإقامة النظام في دمشق، وعمرو بن العاص للإشراف على فلسطين، ما أتاح تثبيت الحكم الإسلامي في الشام الوسطى.

النتائج
فتح الشام الوسطى أدى إلى عدة نتائج استراتيجية مهمة:
1. **ضبط الأوضاع الميدانية، وتأمين المدن والطرق التجارية والعسكرية.**
2. **تعزيز سلطة الدولة الإسلامية، وإعطاء سكان المدن طابع الاستقرار تحت حكم المسلمين.**
3. **تمهيد الطريق لفتح الشام الشمالية وملاحقة البيزنطيين، حيث لم تعد الإمبراطورية البيزنطية قادرة على إرسال قوات كبيرة بسهولة دون المرور بالمنطقة الوسطى.**
4. **تحرير خطوط الاتصال بين دمشق وحِمص والشام الشمالية، مما أتاح تحريك القوات بسهولة استعدادًا لمعركة كبرى ضد الجيش البيزنطي.**

التحضير لمعركة اليرموك
بعد الانتهاء من فتح الشام الوسطى، بدأ المسلمون التحضير لمعركة اليرموك التي كانت حاسمة لمواجهة الجيش البيزنطي:
وصل خبر حشد هرقل جيشًا ضخمًا، يضم حوالي 120 ألف جندي من مختلف الولايات البيزنطية، مع فرقة من العرب المسيحيين بقيادة جبلة بن الأيهم، وفرقة أرمينية بقيادة جرجة بن توذار.
أدرك أبو عُبيدة وخالد أهمية تثبيت المواقع الوسطى (حماة ومعرّة النعمان وأفامية) قبل مواجهة هذا الجيش الكبير، فقرروا مواجهة البيزنطيين على أرض الشام الوسطى لتجنب تهديد دمشق وحِمص ومقاطعة خطوط الإمداد.
كما تم إرسال تعزيزات من شبه الجزيرة العربية بقيادة سعيد بن عامر الجمحي، وتم توزيع القوات بشكل يسمح بالتصدي لأي هجوم مفاجئ، ما مهد لمعركة اليرموك الكبرى.
==========